الناظور البحر الأبيض المتحشِّش

8 دراهم

نيشان NICHANE

الجريدة الأخرى

المغرب كما هو

العدد: 91   9-15 دجنبر 2006

مجتمع

النُّكت

كيفاش المغاربة كيضحكو على

الدين الجنس السياسة



خاص 10 صفحات

مدير النشر: ادريس كسيكس

www.nichane.ma

النُكـ

النكت ملح الحياة... الاجتماعية. المغاربة، كغيرهم، يضحكون على كل شيء، العلاقات الجنسية المحرمة دينيا، الملك المقدس رسميا، الإسلام المنزه عقائديا، وما إلى ذلك من مستجدات تبيح المستملحات. «نيشان» تحلل خصائص النكت المغربية وتحكي أكثرها إثارة للضحك.

سناء العاجي



ـت

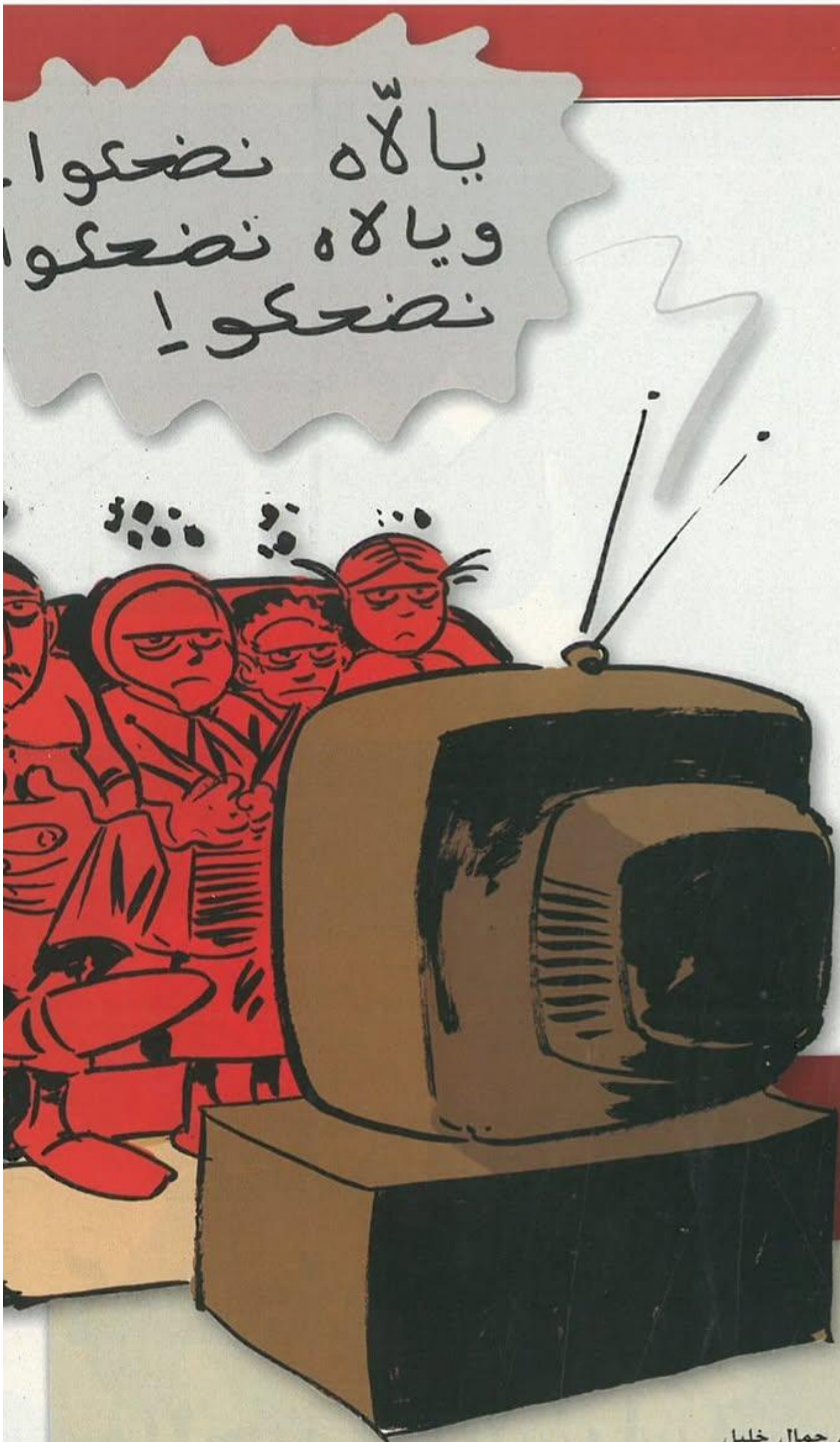
ليس هناك موضوع لم تتطرق له النكتة في المغرب. هناك الثالوث المقدس، كما في جميع بقاع العالم: الجنس، الدين والسياسة. هناك النكتة الجهوية التي يُقشِّب من خلالها المراكشي على الفاسي والعروبي على السوسي والوجدي على البركاني. وهناك النكت التي تنتجها المخيلة الشعبية للتعليق على الأحداث الهامة التي تؤثر فيها وتتأثر بها: الإحصاء الوطني، مدونة الأسرة، زلزال الحسيمة، الفيضانات، انفجارات 16 ماي، الانتخابات... فهل المغاربة شعب نكايتي؟ كيف ننتج النكتة وكيف تتطور هذه الأخيرة؟ ما مدى تأثرها بالتحولات التي يعرفها المجتمع المغربي؟

كيفاش المغاربة كيضحكو على الدين والجنس والسياسة

الرسوم: يوزيب

النكتة، منين جات وفين غادية؟

يكاد يكون من المستحيل معرفة بدايات نكتة معينة ومؤلفها والتحولات التي طرأت عليها، خلال عملية تناقلها وتداولها. هناك من النكت ما يصمد ويعيش خلال سنوات، لا يتم خلالها إلا إلحاق بعض التغييرات الطفيفة عليها للتماشي مع المستجدات. بهذا الشكل نسبت نكت عن خاطري ولد سعيد الجماني -الله يرحمو- إلى ادريس البصري -الله يدكرو بيخير- وأخرى عن الحسن الثاني -تغمده الله



بواسع رحمته- إلى محمد السادس -نصره الله- ونكت قديمة عن أشخاص عاديين إلى إسلاميين ملتحين، وهكذا دواليك... مع هذه التغييرات، يصير تحديد «الملكية الفكرية» للنكتة أمرا شبه مستحيل، لتصبح في ملك الجميع. كل شخص يرويها يضفي عليها طابعه الخاص ومرجعياته وحساسياته وميولاته وثقافته، كمثال النكتة التي برزت خلال فترة إطلاق برنامج انطلاقة لتشجيع ودعم المغادرة الطوعية للموظفين. تحكي النكتة عن موظفة استفادت من البرنامج وجنت منه مبلغ ثلاثين مليون سنتيم. جلست المرأة في صالونها تعد نقودها، وحين مر من أمامها زوجها الكهل الشايب، بادرته قائلة: «تاخد عشرة ديال المليون وتدير المغادرة الطوعية؟». حين يحكي الرجال هذه النكتة تتحول الموظفة إلى موظف والزوج الكهل العجوز إلى امرأة بلدية ببيجامة قديمة وشعر مشعكك. أيهما الأصل وأيهما النسخة؟ يستحيل الجزم في هذا الأمر، إلا بقدرة قادر... يعتبر حسن نرايس في كتابه «الضحك والآخر، صورة العربي في الفكاهة»* أن «النكتة تنتمي إلى الكل وفي نفس الوقت لا تنتمي إلى أحد. إن صاحبها هو ذلك الذي يحكيها في مدة زمنية معينة ومحدودة. في الوقت الذي ننتهي من حكايتها، ينتقل انتماؤها إلى الكل وإلى الجميع، وكل واحد في استطاعته بل ومن حقه أن يحكيها دون ذكر المصدر الذي جاءت منه، وكل واحد من حقه أن يقول إنه صاحبها، ومن هذا المنطلق، فهي قابلة للتغيير والتحويل وتبديل كلمات بأخرى حسب الهوى،

التلفزيون.. التقشاب الحاضر الغائب

- التلفزيون المغربي بقناتيه لا يحسن الضحك (على الذقون؟) إلا خلال رمضان. لكن الكارثة أن البرامج الفكاهية المنتجة لهذه الفترة لا تفي بالغرض. أحمد الطيب العلج يؤكد بأن التلفزيون «كينكد علينا فرمضان ماشي كينكت». من جهته، الباحث السوسيولوجي جمال خليل يعزو هذا الخلل الى كون الثلاثي العالمي الذي يثير الضحك، أي السياسة والجنس والدين، لا يعرف طريقه إلى التلفزيون المغربي. الفنان الكوميدي محمد الجم يخالفه الرأي، إذ يعتقد بأن «كل ما هو معيش يمكن أن يضحك في التلفزيون بطريقة كاريكاتورية، لكن الأهم هو تحديد طريقة التناول». ويربط محمد الجم الأمر «بأزمة إنتاج وأزمة كتابة بالدرجة الأولى، بحيث لا يوجد لدينا في المغرب كتاب سيناريو متخصصين في الفكاهة». انتقاد الصحافة الوطنية وعموم الجمهور لضعف البرامج والإنتاجات التلفزيونية لشهر رمضان سيناريو يتكرر كل سنة، لكن أحدا من الفنانين لا يأخذه بعين الاعتبار، والقناتان العموميتان اليتيمتان ما زالتا مصرتين على أن برامجهما الرمضانية كتضحك. ربما أن المسؤولين على القناتين يعملان بالمثل القائل: «كثرة الهم كتضحك». لكن الأكيد أن أجوبتهم وتعليقاتهم على الموضوع في حد ذاتها نكتة... لا يستسيغها المغاربة.◆

وحسب الجرأة والشجاعة اللتين يتحلى بهما ذلك الذي يحكيها».

من هنا، يمكننا الجزم بأمر أكيد هو أن النكتة يتيمة لا أصل لها ولا نسب، ولا سبيل حتى لإثبات نسبها. مسكينة! هي ملك للجميع تتوارثها الثقافة الجماعية الشفوية، وتطورها حسب احتياجاتها ومستجداتها. في هذا الإطار، يعتبر جمال خليل، متخصص في علم الاجتماع، أنه «يتم تداول النكتة بشكل سريع جدا إذا كانت الأسباب التي أدت إلى ولادتها غريبة نوعا ما». لكن، ما مدى تقبل المغاربة بشكل عام للنكتة؟ هل نحن شعب نكايتي وقشابتو واسعة؟ يتفق الشاعر والكاتب المسرحي أحمد الطيب العلج مع جمال خليل في كون المغاربة شعبا نكايتيا عن حق، عرف كيف يحول كل القضايا التي تهمه إلى نكت تضحكه، إلا أن الأمر بدأ ينقص تدريجيا للأسف، لأن «المغاربة ضاقت اليوم سعة أفقهم وباتوا أقل من أجدادهم في تقبل النكتة والنقد»، حسب أحمد الطيب العلج. العهدة على الراوي!



قل لي لماذا تضحك أقول لك من أنت؟

إن كانت النكتة قد وجدت في كل الحضارات وعبر التاريخ، فقد كان دورها الأول ولا يزال هو الضحك والترويح عن النفس، من خلال إنتاج تصورات كاريكاتورية للواقع. إنها أيضا تحد واضح للمسكوت عنه وتجاوز مهم للطابوهات، التي لا يمكن الحديث عنها أو يصعب التطرق لها خارج إطار النكتة. بهذا الصدد يقول حسن نرايس في المؤلف نفسه بأن «الفكاهة غالبا ما تزيل القناع عن حقيقة الأشياء وتفرغ المكبوتات المدفونة، وبالتالي فهي تخرج الإحساسات الحقيقية من الظلمات إلى النور. فلننتبه إلى ما كتبه إيريك نيكر: نريد أن نراهن أن الضحك -كما هو الشأن بالنسبة للبكاء- يفصح دائما عن حقيقة ما: قل لي ماذا يضحكك وماذا يحول بينك والضحك أقول لك من أنت وما هي مأساتك وما هي الأشياء التي تخيفك».



من البوط لتحت

- شاب طبيب يعمل في مدينة بعيدة عن أهله، مما يضطره لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم والعودة يوم الأحد مساء إلى عمله. في إحدى المرات كانت والدته غاضبة لا تكلمه طوال مدة إقامته. «مالك ألواليدة»، «لا والو». قبل سفره يوم الأحد أصر عليها أن تخبره بما بها فأجابت بأنها مستاءة لأنه، باعتباره طبيبا، لم يفكر يوما في مساعدة والده العجوز بكتابة وصفة طبية تمكنه من شراء الفياگرا. ابتهج الشاب فرحا لقدرته على فك كرب الوالدين. حين عاد في الأسبوع الموالي سأل والدته عن النتائج فأجابت: «السيمانة كلها وليدي وانا هازا رجلي وكاندعي معاك».

- واحد الراجل فيق مراتو فالليل باش ينعس معاها. گالت ليه: «سمح ليا راه عندي موعد مع الطبيب ديال العيالات غدا وبغيت نبقا فريش». نعس الراجل ورجع فيق مراتو من بعد ربع ساعة وگال ليها: «ياك ماعندكش موعد مع الدونتيست؟».

- سألت المرأة الخضار: «بشحال الخيار؟» فأجابها الخضار: «3 ديال الدراهم أمدام». سألت امرأة ثانية الخضار: «بشحال الخيار أسيدي؟» أجابها الخضار: «3 ديال الدراهم مادموزيل». استغربت المرأة الأولى الأمر وسألته: «باش عرفتيني أنا مدام وهي مادموزيل؟» أجابها الخضار: «من الشدة».

- واحد مشا يخطب. طلب ليه بات البنت 10 مليون فالصداق. الراجل جبد كالكيلاتريس وبدا تيحسب. سولو الأب: «آش كتحسب؟» گال ليه: «آه، بزاف. علاه شحال حسبتي لليلة؟».

من جهته، يعتبر جمال خليل أن «النكتة تعتبر بشكل عام نتاج نوع من المساءلة حول مواقف حقيقية متكررة، لكنها غير عقلانية. إنها تعبر عن تناقضات أو عن ممنوعات غير عقلانية داخل إطار أحداث حقيقية وواقعية». إيوا الله يخرج هاد الضحك على خير! والسؤال الآن هو: علاش كيضحكو المغاربة؟ يقول كوكلان كادي (Coquelin Cadet) في كتابه (الضحك) «إننا كتبنا كثيرا عن الضحك لكننا لم نحدد بشكل مطلق ما الذي يضحك». لكن المتعارف عليه أن هناك تيمة عالمية تلهم كل الفكاهيين وصناع النكتة.

فتماما كما في باقي دول العالم، يعتبر ثالوث الجنس والدين والسياسة أهم المواضيع التي تلهم النكت. إنها الرغبة في كسر الطابوهات ورفض كل الممنوعات. في هذا الصدد، يقول جمال خليل بأن «النكتة المغربية لطالما كانت تحوم حول الطابوهات، لكنها لم تتجاوزها حقيقة». سفر داخل عالم النكت.

> «المغاربة ضاقت اليوم سعة أفقهم وباتوا أقل من أجدادهم في تقبل النكتة والنقد»

الجنس: تايقولو «لا حياء في الدين»

النكتة الجنسية تنتفض ضد كل أنواع المنع والطابوهات: المثليون، الاستغلال الجنسي للأطفال، الوضعيات المختلفة للعلاقة الجنسية، التعامل مع بائعات الهوى... كل هذه أمور مقبولة ومتداولة داخل النكتة (فقط؟)، لكنها تظل حبيسة اللقاءات بين أشخاص من نفس الجنس أو السن أو بين أشخاص تربط بينهم علاقات حميمية تمكنهم من كسر هذه الطابوهات. باختصار، يصعب جدا تداول النكت الجنسية بين أفراد الأسرة. وحينما يتم تجاوز حاجز الحشمة، يقول راوي النكتة من باب الاستلطاف: «لا حياء في الدين». والدين هنا مرادف للجنس لأنه يحكم قواعده (أو هكذا يبدو).

أبطال النكت الجنسية أغلبهم ذكور. تحرر المرأة في المغرب ما زال لم يكتمل، والنكتة مثال على ذلك. في النكت الجنسية، المرأة حاضرة لتلبي رغبات الرجل وفانتازماته أو لتؤكد النظرة الدونية للمرأة داخل العلاقة الزوجية، والتي تختزل المرأة في جسدها. خير مثال على ذلك، النكتة الشهيرة التي مفادها أن امرأة في الستين من عمرها فاجأت ابنتها -حديثة العهد بالزواج- تتجول في البيت عارية فسألتها عن السبب لتقول لها: «هذا قفطان الحب أماما». عاد الأب من العمل مساء ليجد زوجته تتجول في البيت عارية فسألها مستنكرا عما يحدث. فردت المرأة: «لابسة قفطان الحب». أجابها الزوج: «ومالو مكمش؟».



قال لك هذا الله...

- مات أبو هريرة ووقف أمام الملاك المسؤول عن نتائج أعماله في الدنيا. نظر الملاك الى الكومبيوتر، وقال له: جهنم. احتج أبو هريرة وطالب بمجيء النبي. جاء النبي ونظر الى الكومبيوتر وقال له: ما عندي ما ندير ليك جهنم. أخذ أبو هريرة يصرخ ويلوم النبي فنزل الله، فأخذ يشتكي إليه ويبكي، عندها ربتوا على كتفيه وقالوا له: شوف لهيه. راك شاركتي معنا فالكاميرا الخفية».
- في بداية السنة، دخل أستاذ القسم وبدأ يسأل التلاميذ عن أسمائهم فيردون: «أنا داوود عليه السلام». «استغفر ربك يا ولد، وأنت؟» «أنا عيسى عليه السلام». «استغفر ربك يا شقي»... وهكذا إلى أن أجاب تلميذ في القسم: «أنا محمد صلى الله عليه وسلم». «ألا تخاف عقاب ربك؟» فأجابه آخر تلميذ في القسم: «لا لا لا، لن أعاقبه».
- الأول: «من هو النبي الذي كلم الحيوانات؟» الثاني: «ماوكلي عليه السلام».
- دخلت فتاة مكتبا وهي ترتدي ميني جيب، فبادرها ملتح: «من أين لك بهذا؟» فأجابت: «اشريتهم من إسبانيا». قال الرجل: «اخلعي ملابس النصارى إذن». خلعت الفتاة ملابسها فأجابها الرجل: «عانقي الإسلام». عانقته الفتاة فبادرها من جديد: «اجلسي على عمود التقوى».
- التقى 3 إسلاميين في مكتب الحالة المدنية لتسجيل أبنائهم الرضع. سأل الأول الثاني: «أشنو سميتي؟» «أبو حمزة، وأنت؟» «أبو جعفر، وأنت؟» أجاب الثالث: «أبوطاكاز».
- إسلامي يداعب طفلته الصغيرة قائلا: قنيبيلة ديالي...
- إسلامي اكتشف أنه مثلي، وهو يدير الحجاب.



في أحسن الأحوال، تلعب المرأة في النكتة الجنسية الدور المقبول داخل المجتمع. دور «المتمنعات وهن راغبات». لكنها نادرا ما تبادر. بالمقابل، يبدو الرجل فحلا قويا كثير الشهوات يعرف كيف يحقق أهدافه. إنه الفاعل وصاحب القرار.

حين يحكي الناس النكت الجنسية بينهم، قد يعمدون إلى تعويض الكلمات «المزعجة» بمرادفاتها الفرنسية أو بإيماءات وإشارات من قبيل: «وراك عارف»، «كمل من راسك»، «اللعيبة»... حين يتم كسر هذا الطابو واستعمال الكلمات الحقيقية الواردة في النكتة، فهذا يعني أن الراوي والمستمعين وصلوا إلى نوع من الحميمية في علاقتهم يسمح بذلك. وقد يرددون بين الفينة والأخرى وإزاء كل نكتة من هذا الصنف: «شفتك خسرتي».

النكت الجنسية ليست دائما مباشرة وحاملة لألفاظ تخدش حياء المستمعين. قد تحمل بعض النكت بين ثناياها نوعا من الرمزيات الذكية كمثال الشاب الذي استدعى حبيبته لمرافقته لشقته. سألته الفتاة بحياء مصطنع عن السبب فأجابها: «نمشيو نسمعو لعبد الحليم». أجابت الفتاة بنفس الحياء المصطنع: «وملي يسالي عبد الحليم أشنو غادي نديرو؟» فأجابها الشاب بمكر: «نلبسو حوايجنا ونخرجو.»

الدين: للمُضحك مفاتيح الجنة

يتحدث جون ديجون في تقديم مؤلف حسن نرايس سابق الذكر عن «التعرية وتفكيك ما هو جدي. الدفاع عن النفس في مواجهة القوي والمهيمن عن طريق الضحك والمكر والمزحة والنكتة». وليس هناك ما هو مهيمن في الثقافة المغربية أكثر من

الدين، طابو النكتة بامتياز.

في ثقافة تعتبر الدين أكبر المحظورات وأشد الممنوعات قدسية، تأتي النكتة لتكسر هذه الرمزية ولتجعل من الدين موضوعا للهزل. كل شيء يصير مقبولا ووارداً في النكتة الدينية. في السابق، كانت هذه الأخيرة تتحدث عن الفقيه والطلبة لتفضح عيوبهما: ميولات جنسية ليست دائما طبيعية، جشع وطمع، مكر... لكن النكتة الدينية اليوم تطورت لتمس أكبر وأهم الرموز الدينية: الله والرسول. كما أن للملائكة وإبليس حضورهما الذي لا يستهان به داخل إطار النكتة الدينية.

يقول أحمد الطيب العلج إن والدته التي كانت امرأة متدينة تحفظ القرآن والأمداح النبوية، «لم تكن تجد حرجا في تناول بعض المسائل الدقيقة بالنكتة. وهذا نوع من التحرر عمد إلى تداوله المغاربة فيما بينهم من خلال تبريرهم لذلك بمقولة: شوية لربي وشوية لقلبي».

العلج يذهب أبعد من ذلك حيث يقول

«المغاربة يتقبلون كل أنواع النكت ما دامت تضحكهم، وحتى لو تجاوزت حدود اللياقة»

إن للتنكيت على الفقيه رمزية تتجاوز شخص الفقيه نفسه «الفقيه لم يكن مجرد أستاذ يعلم الحروف، بل مجازا، العالم الذي يعرف أدق الأشياء في الدين.» أي أن التفكه عليه هو تفكه على الرمزية الدينية في حد ذاتها. بمعنى أن عبارة «الفقيه اللي كنتسناو براكتو دخل للجامع ببلغتو» لا تتوقف، حسب العلج، عند حدود البلغة التي يلبسها الفقيه داخل المسجد، بل تعني أن الفقيه تجاوز الحدود المتعارف عليها والواجب على فقيه احترامها.

وتماما كما بالنسبة للنكتة التي تتطرق لموضوع الجنس، فإن حضور الدين في نكتة ما يجعلها لا تحكى إلا في إطار حميمي، مع أشخاص يعرفهم الراوي ويدرك تقبلهم لهذا النوع من النكت. في هذا الصدد يؤكد أحمد الطيب العلج أن «المغاربة يتقبلون كل أنواع النكت ما دامت تضحكهم، وحتى لو تجاوزت حدود اللياقة».

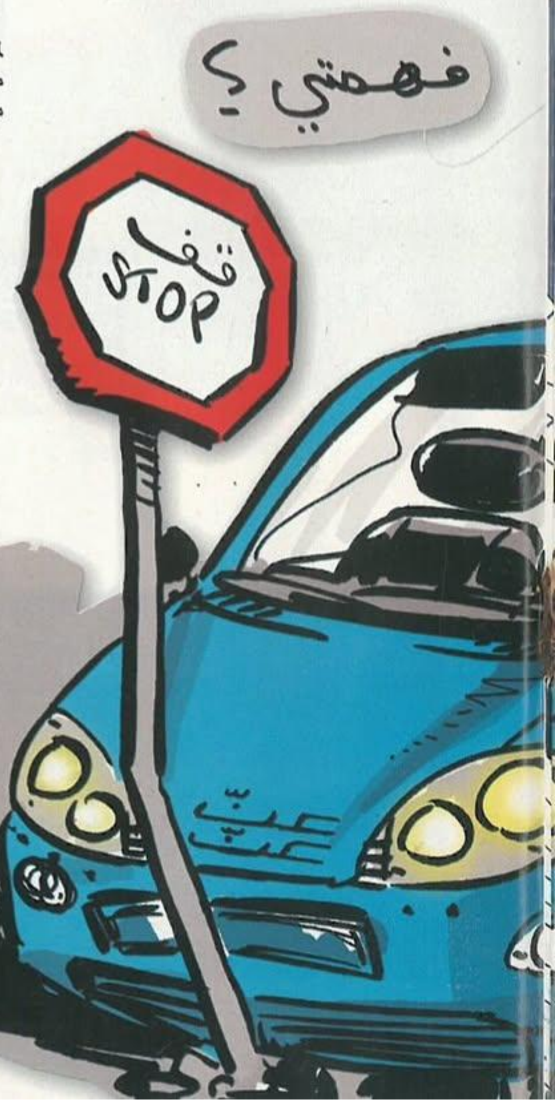
حين يسخر المغاربة من المقدسات في نكتهم، يختتمونها عادة بعبارات من قبيل «الله يسمح لينا»، أو «الله يخزي الشيطان الحرامي» أو «اللسان ما فيه عظم». وقد يذهب البعض إلى أبعد من ذلك «مستشهدين بقول الرسول -رفهوا عن هذه النفوس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد- أو بالآية القرآنية (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم وإنما يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) البقرة 225». الكلام لأحمد الطيب العلج، وهو يعبر عن مدى قدرة البعض على تبرير رغبته في الضحك والتنكيت على المقدسات تبريرا دينيا، لأن الله لا يحاسب عباده على مجرد لغوهم ماداموا لا يؤمنون بما قالوا... يعني غير ضحكو مع راساتكم ولا خوف عليكم.

قد تكتفي النكتة الدينية بوضع الممارسة الدينية موضع تساؤل، كما قد تذهب إلى أبعد من ذلك من خلال طرح أسئلة تتعلق بماهية الدين والله وجهنم والجنة. إنها تعبر عن تساؤل عميق ومكبوت عن المقدسات الدينية، في محاولة لسبر الغموض الديني وكل الأسئلة العالقة فيه، والتي لا يعرف لها الفرد جوابا.

للإسلاميين كذلك نصيبهم من النكت المتعلقة بموضوع الدين. فمنذ أحداث 16 ماي في الدار البيضاء ونمو المد الإسلامي في المغرب، أصبح المغاربة يسخرون من الإسلاميين في نكتهم، ويصورونهم ككائنات جبانة منافقة غير مرغوب فيها، تنجب مشاريع قنابل ومتفجرات، تحرم كل شيء، لكنها لا تتوانى في تغيير مواقفها خوفا أو دفاعا عن مصالحها. هذه الأحداث المأساوية ولدت لدى المغربي، الذي لا يقدر على مواجهتها أو علاجها، الرغبة في الضحك منها.

أنترنيت. المواقع الاستراتيجية

مواقع النكتة المغربية على الأنترنيت لا تعد ولا تحصى. يكفي كتابة كلمة نكتة بالعربية أو بالفرنسية على كوكل للغوص في عالم من النكت لا ينتهي. في أغلب هذه المواقع يمكن العثور على نكت مغربية مصنفة حسب المواضيع التي تتطرق لها. وتكتب هذه النكتة بحروف لاتينية لكن بلغة مغربية دارجة تترجم الثقافة المغربية. أغلب هذه المواقع مخصص للنكتة فقط مثل noukta.tk أو noukta.ma. هناك أيضا مواقع أخرى تضم في أبوابها صفحات خاصة بالنكتة مثل z3ama.net أو beurfm.net أو dafina.net الخاص باليهود المغاربة. هناك أيضا أشخاص وضعوا على مدوناتهم على الأنترنيت صفحات خاصة بالنكتة المغربية أمثال elaouadiahmed.free.fr. وجود النكتة المغربية على الشبكة العنكبوتية يعطيها طابع العالمية. كما أن كتابتها تمكن من ترسيخها، بخلاف النكتة المحكاة شفويا والتي قد تنسى مع مرور الأيام.◆





السياسة: وعن الملوك، فلا تخجل

خلافا للمعمول به في العالم الغربي، فإن رجالات السياسة في المغرب لا يلهمون النكتة السياسية. باستثناء الملوك (الحسن الثاني ثم محمد السادس) وإدريس البصري، نادرة هي الشخصيات السياسية المعاصرة التي كانت موضوعا للنكتة.

بعد تعيين وزارة إدريس جطو الأولى، انتشرت نسبيا نكتة مفادها أن الوزير الأول أصدر أول قانون له، وهو منع المغاربة قاطبة من المشي بأقدام حافية (وذلك بهدف إنجاح أعماله الخاصة من خلال شركة تصنيع الأحذية التي يملكها). نكتة أخرى كانت تتلاعب بأسماء بعض الوزراء وعلاقتها بحقائبهم الوزارية، ليقول المغاربة إن الرسالة المقصودة من خلال تعيين الحكومة الحالية (حكومة إدريس جطو الأولى) واضحة، ومفادها أن المغاربة خاصهم يخويو البلاد. فالملك كان يقصد من خلال هذا التعيين أن السكنة غير حجيرة، والصحة بيد الله، والباسبور ساهل. تطورت النكتة فيما بعد لتطول السياحة اللي إيلا بغيتيها سير ضرب دويرة والطرقان اللي الغالب الله.

باستثناء هذه النكت، ونكت أخرى قليلة، فإن النواب والمسيرين السياسيين لم يلهموا بكثرة صناع النكت. رغم البحث والتنقيب والسؤال، إلا أنه لا أثر لنكت عن اليازغي أو الراضي أو اليوسفي أو العثماني... ولا حتى عباس الفاسي.

«حين يتم إلغاء رجالات السياسة من طرف صناع النكتة، فهذا يترجم عدم اهتمام عموم الناس بهم نظرا لضعف مساهمتهم الفعالة في الحقل السياسي. أي شخص، أينما كان مجال عمله، ينشر من حوله إحساسا بالرضى أو بالنفور. وحين يوجد في الخانة الثانية، أي النفور، فلا مجال لخلق نكت عنه، سواء كانت إيجابية أو سلبية». جمال خليل كال كلشي.

المغاربة يلغون رجالات السياسة من حساباتهم لأنهم لا يؤثرون في اليومي. لا يتفاعلون مع الواقع. لذلك يُقصون من النكت المغربية. ثم إن رجالات السياسة في المغرب يأخذون ممارسة مهامهم السياسية مأخذ الجد أكثر من اللازم، ويمررون من

«حين يتم إلغاء رجالات السياسة من طرف صناع النكتة، فهذا يترجم عدم اهتمام عموم الناس بهم»

الضحك على الملوك



– بعد موت إدريس البصري ووصوله إلى الآخرة، حاول أن يرشي الملائكة ليدخل الجنة، لكنه لم يستطع لأن الملائكة جميعهم أكدوا نزاهتهم وأن «وسخ الدنيا كيبقا فالدنيا». وهو في طريقه إلى جهنم شاهد الحسن الثاني في الجنة فقال: «والله يتا دايرة الرشوة هنا».

– ذهب محمد السادس ليبحث عن والده في الآخرة. فتش في كمبيوتر الجنة، لكنه لم يعثر على شيء. فتش على كمبيوتر جهنم، والو. ذهب ليسأل عنه الله فطلب هذا الأخير البطاقة الوطنية للحسن الثاني. تأملها مليا وقال: «لا لا. هادا ماشي أنا اللي خلقتو».

– فرانسا حلات الحدود مع المغرب، بحيث يمكن لأي واحد يمشي بلا فيزا. المغاربة كلهم تمو غاديين كيجريو. الملك طلع فالباطو وكال للشعب: «اللخر فيكم يطفي الضو».◆

أبطال النكتة المغربية. خاطري الجماني والآخرون

كان خاطري ولد سعيد الجماني بطل معظم النكت خلال السبعينات والثمانينات. يعتقد الكثيرون أنه من إنتاج الخيال الشعبي، لكن الرجل حقيقي، بل وأكثر من ذلك، فقد كان من بين المقربين من الملك الراحل الحسن الثاني. رغم كونه صحراويا من علية قومه، فقد عرف خاطري ولد سعيد الجماني بكونه رجلا بسيطا في تعامله، يرتدي باستمرار دراعيته الصحراوية التقليدية ويحافظ على لحيته الغزيرة. لم تكن الابتسامة تفارق وجهه وكان معروفا بروح الدعابة. وقد توفي سنة 1993 عن سن يناهز السبعين ودفن بالعيون.

شخصية أخرى ألهمت النكتة المغربية، متمثلة في أرسلان الجديدي، وهو مؤسس الحزب الوطني الديمقراطي بعد الانشقاق عن التجمع الوطني للأحرار. وقد كان الرجل وزيرا للشغل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة، وكان... أميا. أرسلان الجديدي هو المعروف بقولة: «لقد صيفطني صاحب الجلالة...» وعبارة «لقد كان المغرب على شفا حفرة، والآن ولله الحمد تقدم خطوة لقدام.◆



خلال ظهورهم الإعلامي صورة الشخص «السياسي المحنك المعقول» الذي يتكلم لغة عالية وراقية ومثقفة تسمو عن الهزل والتقشاب، الشيء الذي يبعدهم أكثر فأكثر عن عالم الشعب. حتى أن الصحافة تناقلت منذ أشهر صورة لعدد من الوزراء وهم يتكرشخون بالضحك، خلال لقاء نظمه نور الدين عيوش، رئيس مؤسسة زاكورة. وشكلت الصورة حدثا حقيقيا وكأن المغاربة يستغربون الأمر ويتساءلون إن كان وزراؤهم يعرفون الضحك فعلا.

شخص واحد شكل استثناء لهذه القاعدة المغربية وهو خاطري ولد سعيد الجماني، الذي يعد، بعد الحسن الثاني وإدريس البصري، أشهر رجل سياسي في فترة حكم الملك الراحل (انظر الإطار).

من جهتها، فإن النكت الملكية تعبر بشكل صارخ عن موقف المغاربة من ملكهم. في الوقت الذي كان الحسن الثاني يظهر في النكت كشخص قوي، ذكي، ماكتدارش بيه، يظهر محمد السادس شابا حنونا رقيقا بسيطا قريبا من الشعب وعصريا. خلال أزمة جزيرة ليلى التي اندلعت مع إسبانيا سنة 2002، جعلت النكتة الملك يقول: «أنا باراكا عليا غير للا سلمى والموطور ديال الما».

في المغرب، لم يعرف أبدا أنه تم قمع النكتة السياسية أو منع تداولها. بل على العكس من ذلك، يقال بأن الحسن الثاني كان يطالب باستمرار بأن يتم إطلاعه على جديد النكت. أحمد الطيب العلج يذهب أبعد من ذلك حين يقول بأنه يعتقد بأن «أغلب النكت التي أطلقت عن الحسن الثاني كان هو من أشد المروجين لها». فهل كان الملك يعتبر النكتة هي القناة التي تخبره عن مواقف المواطنين؟ بول فاليري كان يقول بأن «الذين يخشون النكتة ليست لديهم ثقة كبيرة في أنفسهم». وأداة القمع في المغرب لم تطل النكتة أبدا.

عنصرية أم جهوية؟ كلها وخيمتو

تأمل عميق للنكت الجهوية يعبر بشكل كبير عن مدى «العنصرية الداخلية» للمغاربة. المراكشي يهزأ من الفاسي والفاسي ينتقم من العروبي والعروبي يقشب على السوسي... لا حدود لهذا النوع من النكت التي تعمد إلى التنقيب عن «عيوب» الآخر ورسمها بشكل كاريكاتوري مبالغ فيه.

«أغلب النكت التي أطلقت عن الحسن الثاني كان هو من أشد المروجين لها»



المراكشي، الفاسي، السوسي والآخرون

- بعد حدث زلزال الحسيمة، بدأ المغاربة يقدمون مساعداتهم المادية والمعنوية لدعم المنكوبين. من جهتهم، قرر أهل بركان تنظيم تظاهرة لدعم المتضررين. قاموا خلالها برفع لافتات كتب عليها: «لا للزلزال ضد الحسيمة».
- الأول: «شكون صعب، فاسي ولا يهودي؟»
الثاني: «فاسي يهودي»
- واحد السوسي شعلات ليه العافية فالحانوت وهو يبيبي البومبية.
- واحد السوسي سول صاحبو: «شحال كتبقى عندك قرعة ديال الزيت؟» جاوبو: «عام، عامين...» وهو يگول ليه: «أو! كتسيق بيها؟»
- واحد المراكشي كيبغي ديما ينعس مع مراتو من اللور وهي كتگول ليه «لا حرام». واحد النهار جا من الجامع وگال ليها: «راه الفقيه تيگول بأن اللي نعس مع مراتو من اللور بحال إيلا قتل يهودي». فوافقت الزوجة. بقا كل نهار كيگول ليها: «أجي نقتلو شي يهودي؟» إلى أن ملت الزوجة فقالت: «واش باغي تحرر فلسطين على قاعي؟»
- أشنا هو اللون المفضل عند المراكشيين؟ الدوري (Doré)
- واحد الفاسية مشات لسطاسيون وطلبات من العامل: «عافاك شويش ديال ليسانس، ونقيطة ديال الزيت ومعيلقة ديال الما» فأجابها العامل: «وشي حزيقة فالروايض، لا؟»
- فاسي گالت ليه صاحبتو: «والبديا سافرو والدار خاوية». جاوبها: «غير قرا شوية ديال القرآن وماتخافشي».
- واحد الصحراوي مشا للناقة من اللور. خلاتو حتى بدا وهيا تنوض ومشات كتجري وسط القبيلة. تلاقا مع ولدو وگال ليه: «الواليد آش هاد الشي؟» جاوبو الأب: «خليها.. بغات الشوهة خليها تتشوه».
- واحد العروبي مع صاحبتو. گالت ليه: «گول ليا شي حاجة حلوة» جاوبها: «سكر». گالت ليه: «گول ليا شي حاجة تربطنا بجوج». جاوبها: «كردة». گالت ليه: «گول ليا شي حاجة تجمعنا أنا وياك». جاوبها: «فارگونيت».
- واحد الگاورية خسرات ليها طوموبيل فالطريق. تلاقات مع واحد العروبي وطلباتو يصوبها ليها. گال ليها: «واخا ولكن بشرط ننعس معاك.» فكرات تاعيات ووافقات ولكن گالت ليه: «بشرط تدير البريزيرفاتيف باش ما نحملش». قضاو الغرض. شهرين من بعد وهو يفيق من النعاس كاعي وگال مع راسو: «أنا غادي نحيد هاد الزمر، إيلا بغات تحمل عا تحمل!»



من خلالها، يظهر المراكشي قشاشبيا وضحايكيا ويحب الممارسة الجنسية من الخلف أو مع الأطفال. الفاسي دائما ضعيف الشخصية وبعكاك وغني وكتدار بيه وغالبا ما تخونه زوجته. السوسي زقرام والبركاني بليد وغبي. إنها إعادة إنتاج مواقف كاريكاتورية يتقوى من خلالها الانتماء القبلي، ويصور فيها الآخر بشكل كاريكاتوري مضحك. في هذا الصنف من النكت، يمكن اعتبار تلك المتعلقة بالمراكشي وبالفاسي أشهرها وأكثرها عددا. في بعض الأحيان، قد تجمع النكتة بين الانتماءين، وفي هذه الحالة، فإن النصر أو موضع القوة يكون دائما للمراكشي. بحال المراكشي اللي مربي فاسي فالسطح. في نكات أخرى أقل انتشارا، يتعرض الرواة لجبالة وصحراوة والمكناسيين، لكنها تظل قليلة كما ومحدودة الانتشار جغرافيا.

بهذا الصدد، يقول أحمد الطيب العلج بأن الأمر «لا يعبر عن عنصرية بقدر ما يعبر عن قدرة المغاربة على التفكه والتندر والضحك من هفواتهم». جمال خليل يؤكد نفس التصور مضيفا بأنه «مادامت النكتة الجهوية لا تشمل سبا أو شتما، فذلك يظل مقبولا ويمارس في كل البلدان». ويعتبر الكاتب المسرحي بأن «المغاربة كانوا في السابق أكثر تقبلا لهذا النوع من النكت، حتى حين كانت توضح هفواتهم أو عيوبهم بشكل مبالغ فيه، بالنظر لسعة أفقهم التي ضاقت اليوم».

أقليات. اليهود حتا هوما؟

لا يحضر اليهود المغاربة كموضوع للنكتة إلا بشكل نادر. يعزو أحمد الطيب العلج هذا الاختفاء لليهود المغاربة من النكتة إلى كون عددهم أصبح أقل داخل المجتمع المغربي. «في السابق، كانت النكتة تتطرق لليهود كما تتطرق للمراكشيين والفاسيين والعروبية. واليهودي كان كينكت على راسو بصيفتو مغربي». إذا كان التاريخ الرسمي قد غيبهم من كتب التاريخ، فإن الذاكرة الشعبية تلغي وجودهم اليوم من النكتة إلا لماما. الشخصية اليهودية الوحيدة التي يعرفها المغاربة اليوم كموضوع للنكتة هي بابا يحيى، الجد الشهير في عروض الفنان المغربي كاد المالح.

على موقع http/www.dafina.net، الخاص باليهود المغاربة، يضم الفهرس مجموعة من النقط المتعلقة باليهود المغاربة: دين، عادات، تاريخ، موسيقى، مشاهير... لكن لا وجود للنكت إلا داخل صالون الدردشة، حيث خصصت دردشة عن النكت المغربية ساهم فيها عدد من اليهود المغاربة من داخل وخارج المغرب. هذه الدردشة استأثرت باهتمام عدد كبير من الزوار، حيث بلغ عدد الرسائل 7506 رسالة أغلبها نكت مغربية بالدارجة (في حين أن أغلب مواضيع الدردشة لم تحصد إلا بضع مئات من الرسائل). الجميل في الأمر أن هذه الدردشة ابتدأت في مارس 2004 ولم تنته إلا يوم التاسع من غشت 2006. وقد تأتي رسائل أخرى لإغنائها...

ومن المستجدات ما أضحك

حافظ المغاربة على قدرتهم على الضحك من كل شيء. أليس لدينا مثل معروف يقول: كثرة الهم كتضحك؟ هكذا، فقد شكلت الأحداث المهمة التي عرفها المغرب موضوعات ملهمة لصناع النكتة: وفاة الحسن الثاني، اكتشاف البترول في تالسينت، أحداث 16 ماي، الإحصاء الوطني، المغادرة الطوعية، مدونة الأسرة، زواج الملك...

يعتبر جمال خليل أن «العديد من النكت تكون مرتبطة بالثقافة المغربية». أي أن المستجدات والأحداث الجديدة الكفيلة بتغيير اليومي وبالتأثير على حياة المغاربة تطلق العنان لمخيلة صناع النكت الذين غالبا ما ينطلقون من مواقف حقيقية لتركيبها بشكل كاريكاتوري يتطور باستمرار مع انتشار النكتة. فإزاء كل المواقف التي تؤثر في المغربي، يتفنن ذكاؤه في ابتكار نكتة جديدة تمكنه من الضحك من الحدث بدل البكاء. هذا التعامل يمكن الأفراد من تقبل الأمور بشكل أيسر. هنا يصبح الضحك أداة مقاومة فعالة ضد «هموم العصر». أحمد الطيب العلج يعتقد أن «الإنسان قد يضحك إمعانا في السخرية من نفسه». في القرن التاسع عشر، كان بيير أوكيستان بومارشي يقول إنه «يبادر بالضحك على كل شيء خشية أن يكون مضطرا للبكاء على كل شيء». هكذا إذن يمكن اعتبار النكتة، بدون منازع، خير تعبير عن هموم وأفراح وقضايا الشعب.



المغربي، يتفنن ذكاؤه في ابتكار نكتة جديدة

تمكنه من الضحك من الحدث بدل البكاء

في العديد من الأحيان، تتم إعادة إنتاج نكت قديمة وإعادة صياغتها حسب المستجدات. لكن النكتة عادة ما تختفي باختفاء الأسباب التي أدت إلى ظهورها أو بتحولها الى موضوع معروف ومستهلك لا يستدعي الضحك.

الحيوانات أيضا حاضرة في نكت المغربي من خلال علاقته بها -حتى الجنسية أحيانا- أو من خلال جعلها تخدم رسالة رمزية تعوض من خلالها هذه الحيوانات البشر.

في النكت التي يوجد فيها المغربي مع أشخاص من جنسيات أخرى، يصور المغربي باستمرار على أنه الأقل ذكاء والأضعف والمغلوب على أمره. فهل تعبر هذه الصياغة عن صورة المغربي عن نفسه مقارنة مع أشخاص آخرين، كشخص أدنى مرتبة وأقل قيمة؟ هل هي تعبير عن الإحساس بالقهر وبالنقص أمام الآخر؟ جمال خليل يعارض هذا الطرح قائلا بأن المغربي في هذه النكت «يظل سيد الموقف لأنه يحدد نهاية النكتة. إنه يعيش دائما الموقف الأشد غرابة. وهذا ليس شيئا سيئا في حد ذاته». لكن الملاحظ بشكل عام أن هذا النوع من النكت بدأ يفقد انتشاره.

مواضيع أخرى تتطرق لها النكت المغربية: صبيطار الحماق، النسيبة (أو/و العگوزة)، السكايرية، المعاگيز، العلاقات الزوجية أو الزواج من أجانب، العلاقات مع البوليس أو مع السلطة بشكل عام...

في النهاية، يبدو واضحا أن النكتة ولدت لتشكل نوعا من العلاج النفسي يمارسه الناس من خلال الضحك على أمور لا يستطيعون معالجتها بشكل مباشر. نيتشه قال في كتابه «المعرفة السعيدة (Le gai savoir) بأن «الضحك هو أن نفرح لمأساة ما، لكن براحة بال». هنا يصبح كل شيء قابلا للتنكيت. الفنان الكوميدي محمد الجم يؤكد هذا الأمر حين يقول بأن «كل ما هو مطروح في الحياة اليومية قابل للتنكيت». وبهذا الصدد، يتساءل حسن نرايس: «هل يوجد مقياس أو حد للضحك أو الفكاهة؟ نعم، إنه مقياس عدم الإخلال باحترام الكرامة البشرية». ما عدا ذلك، فالتقشاب يظل أجمل وسيلة للتعبير لا تطولها يد الرقابة. وسيلة تعبير تضحك كل المغاربة، برمضان ولا بلا رمضان.◆

* الضحك والآخر، صورة العربي في الفكاهة الفرنسية، مطبوعات إفريقيا الشرق، 2002



المناسبة شرط

- نهار الإحصاء سولو واحد الراجل: «شحال بيكم فالدار؟». «10». «مزيان. وشحال من واحد خدام؟». «3، أنا والتلفزة والثلاجة».

- واحد مشا يطلق مراتو. گال ليه القاضي خاصك تعطيها النص. مشا انتاحر باش تورت غير السدس.

- واحد المهاجر اتاصل بالواليدة ديالو من الطاليان وسولها كيدايرة. أجابت الأم: «لاباس أوليدي... كيف القاعيدة» فانفجرا مباشرة بعد نطق الوالدة بهذه الكلمة.

- واحد الدحيش مشا عند ماماه فرحان وكيگول ليها: «ماما ماما، كبرت، وليت حمار». ردات عليه الوالدة (الحمارة): «ومال بوك كنتي مهندس؟»

- واحد المرا طلعات للسطح ولقات ولدها ناعس مع الدجاجة. گالت ليه: «أويلي أولدي ماحشمتيش؟ ما بقات ليك غير الدجاجة؟» جاوباتها الدجاجة: «قوقك؟»

- واحد محشش قطع لصاحبو راسو وگال مع راسو: «وا نااااااري! را غادي يتصطا مللي يفيق ومايلقاهش».

- واحد سكران داخل لدارهم، تلاقا مع ختو ودفعها وهو داخل. دارت فيه كاعية: «وابنادم... مالك ماشفتينيش؟» جاوبها بلسان ثقيل: «لا شفتك، ولكن ماعقلتش فين».

- واحد الولد سول باباه: «بابا بابا، الحمير كيتزوجو؟» جاوبو الأب: «لا ولدي، ما كايتزوجو غير الحمير».

- واحد البنيتة سولات ماماها: «ماما ماما، شكون عطاني الذكاء ديالي، انتي ولا بابا». جاوباتها الأم: «لا بنتي، هادا ما يكون غير باباك. أنا ديالي مازال عندي».

- واحد الحنش عامين وهو كيبغي لفعة. نهار مشا يهضر معاها لقاها تيو ديال البوطاگاز.

- وحدة گالت للمقدم: «توقف معايا ناخد البيرمي؟» جاوبها: «وتنعسي معايا؟»

- واحد الولد مزوج بگاورية. بدات كتبوس فيه وتعنق حدا باه. حشم وگال ليه: «ماتديش عليها الواليد. هادي راها غير كافرة بالله». جاوبو باه: «لا وليدي. ملك اللي كافرة بالله». ◆